

سيكولوجية إدلر

تلخيص ومبسّط

للأستاذ محمد أديب العامري

نظرة عامة

يرى ألفريد إدلر أن اتصال الإنسان - ذكرًا كان أو أنثى - بالحياة والناس يقوم على دعامتين ثلاث : العمل والحب والعلاقة الاجتماعية . هذه عنده هي وظائف الفرد في الحياة ؛ فإذا كان الفرد مطمئنًا فيها جميعًا كان إنسانًا سويًا هادئًا ، وإلا فإنه لا ينجو حين تنتقصه الحياة إحدى هذه الصفات الثلاث من أن يكون هدفًا لانحراف عصبي .

ولإدلر نظرية قائمة بذاتها في علم النفس مركزها فكرة « النقص » . ويظهر من تجارب الناس في الحياة أن فلسفة إدلر النفسية تقوم على شيء من الصحة ، إن لم تقم على الصحة كلها ، بالرغم من النزاع العنيف بين أتباعه وأتباع فرويد .

ونظرية إدلر الأساسية في علم النفس بسيطة . وقد وضعها هو في عبارات وشروح سهلة تجعل كثيرين ينظرون إليها مرتين

وطنى !

أنت كما أعزف ، وفوق ما أعرف ، ولو أن الله لم يُبدع خلقًا سواك لكنت وحدك الآية الباقية على أنه الخلاق الوهاب

وطنى !

في سبيل الظفر باللائك وللائك سهرت عيون وشقيت عقول، فكيف أمن عليك بليلة لم يكن فيها مسد عيني وجهه عقل ، إلا هتافًا بمجدك في حاضرك وماضيك ، يا آية الله في هذا الوجود

وطنى !

أما أسبّح لله الذي أنشأك على خير مثال ، فكانت فيك الخصائص الأصلية لجميع الأوطان ، من أنهار وبحار ومجراوات ومن آلام وآمال

وطنى !

قال العلماء إنك اختصت بالسلك المدبر بالكهرباء ، فهل يقولون أيضًا إنك اختصت بالقلب المدبر بالفؤاد

زك مبارك

أول الأمر ، خشية أن تكون هذه الفكرة قولاً عادياً لا طائل وراءه . والذي قرب نظرية إدلر من الأذهان أمران : أولهما نزعة العنف إلى التبسيط ، وثانيهما طواعية أمثلة كثيرة من الحياة لتكون شواهد عليها ، وشعور كل إنسان بشيء منها في نفسه . والنظرية تؤول بعد إلى دعوة إصلاحية عامة ذات مساس شديد بمصالح الناس وهنأئهم . ولا عجب في ذلك فإدلر يعتقد مع وليم جيمس « أن العلم الحقيقي ليس إلا العلم الذي يتصل بالحياة اتصالاً مباشراً » .

وفلسفة إدلر في علم النفس تدعى (السيكولوجية الفردية) . وهو يذكر أن هذه السيكولوجية إنما نتجت معه من دراسته لدوافع الحياة الخلقة ، أي الدوافع الخفية التي تحدد بالأحياء إلى الرقي والتطور ، بالرغم من أي عائق يعوقها . ولذلك يرى أن الكائن البشري وحدة تستهدف غرضاً معيناً في اندفاعها نحو الرقي والتكامل . إن للنفس البشرية طابعاً خاصاً يتكون في الصغر . والنفس تحب أن تتكامل فتسد ما بها من نقص أو تندفع إلى الأمام نحو هدف ثابت للرقى .

وإدلر قد لا حظ أن الجسم البشري تتساند جميع أعضائه لتحفظ الجسم وتسمده . بل هو يلاحظ أن أجزاء الجسم تحاول أن تسد أي نقص يطرأ عليه . فالجسم يُجرح مثلاً فتعمل سائر أعضائه على تغذية المكان المجرع ووقايته حتى يلتئم ويذهب الألم والتشويه الناتجان من ذلك : « الحياة تحاول دائماً أن تستمر ، وقوى الحياة لا تخضع قط لأي عائق من الخارج يحول دون استمرارها من غير أن تبجد نفسها في التغلب عليه . وأن حركة النفس لشبهة بحركة الحياة العضوية »

وهذا معناه أن النفس البشرية كذلك تتعاون أجزاؤها في سبيل إسماع النفس كلها ودفعها إلى الأمام في طريق السمو . فالنفس البشرية لها هدف أو مثل أعلى ، وهي تحاول أن تتخطى الحالة التي تكون عليها . فلو كانت منقوصة حاولت أجزاؤها الأخرى أن تسد هذا النقص . أما هذا الهدف فإنه يتكون في أول عهد الطفولة الباكر في السنوات الأربع أو الخمس الأولى من حياة الطفل . ويتركز الهدف الذي تستهدفه النفس حول نقص تحس به من جراء عضو مفقود أو مشوّه . فالطفل ينتقصه هذا وهدفه الذي تستهدفه نفسه من

الشعور بالنقص

فكما قد أسلفنا من قبل يبدأ الشعور بالنقص في الطفل من نقص أو ضعف في التركيب الجسماني ، ومن الحرمان النفسي مهما كان نوعه . ويتوقف نوع الشعور على نوع الضعف أو على نوع الحرمان . ويشمل ذلك عوامل البيئة التي نشأ فيها الطفل ، وخاصة طبائع الوالدين والناس المحيطين به وجميع الذين يؤثرون في تربته أو الوضع الاقتصادي الذي ينشأ فيه

ومن البين المهم أن الطفل لا يقوى على العيش وحده حين يولد ، ولذلك كان لا مناص له من أن يعتمد على غيره - عائلته - في مطلع حياته

واعتماده هذا هو مبدأ إحساسه بالحاجة إلى غيره . وهذا الإحساس يستمر معه في الحياة ؛ فتي كبر وأضحى مستقلاً كان موضعه بالنسبة إلى المجتمع كما كان موضعه بالنسبة إلى عائلته وهو صغير ؛ وبعبارة أخرى تنتقل حاجة الفرد إلى جماعة أكبر . ومن هنا يشعر الكبير بحاجة إلى الناس . وشعوره بالنقص يحمله على مواصلة العلاقة بالمجتمع . «فبدأ الحياة الاجتماعية» ، كما يقول إدلر «هو ضعف الفرد ؛ واستمرار ضعفه بالنسبة للمجتمع يلزمه أن يكون اجتماعياً» . وهذه الملاحظة مهمة من ناحيتين : أولاً إشارتها إلى أن الإنسان اجتماعي بالطبع ، والأخرى الإلحاح إلى أن طمأنينة الفرد في المجتمع الذي يعيش فيه من أحق علاقات الشعور بالنقص كما سيجيء

محمد أويب العامري

(البقية في العدد القادم)

إعلان مزايمة

يطرح مجلس السويس الحلى في
المزايمة العامة تأجير ثلاث غرف تبريد
وغرفة مكتب لمدة ثلاث سنوات من
أول نوفمبر سنة ١٩٤٣ وتطلب الشروط
من المجلس نظير ١٠٠ ملجم وتحدد ظهر
يوم أول سبتمبر سنة ١٩٤٣ لفتح
المظاريف بالمجلس . ٩٦٣٩

جاء هذا النقص بكون وحدة كاملة يسميها إدلر « النموذج الأول » Proto-type . وهذا النموذج الأول للطفل يظل هو هو في أساسه لا يتغير مدى حياة الطفل ، وإنما يمكن تعديله وتوجيهه وجهات حسنة ، وهذه هي فائدة السيكلوجية الفردية . وخير وقت لهذا التعديل والتوجيه هو في فترة العمر المبكرة ، التي يتكون أثناءها النموذج الأول

وليس من الضروري أن يتشكل الشعور بالنقص من جراء فقدان عضو أو تشوّه ، ولكن حرمان الطفل من محيزات الحياة ، وخاصة بالنسبة إلى غيره من الناس ، يولد فيه الشعور بالنقص . فالتربية الناعمة المرفهة (المدللة) للطفل التي تحفه بناية زائدة لا حاجة إليها ، أو الكره الشديد الذي يحس معه الطفل حرج مركزه بالنسبة إلى غيره ، هي من الأمور التي تزرع فيه الشعور بالنقص من ناحية أخرى . إن الطفل المدلل يعود الاعتماد على أهله ، فإذا نما لم يستطع مقابلة الحياة ، وإنما يطلبها على الشكل الذي كان يطالب به أهله وهو صغير ؛ وبالطبع لا يجهد من الحياة التلبية التي كان يجدها من أهله ، فتتغلب عليه الحياة وتهزمه ، وينحرف بذلك إلى نواحي الحياة الضارة . فالحياء الشديد ، والادعاء ، والقعود عن العمل ، والإجرام ، والجنون والإدمان على الخمر ... الخ : هي مظاهر مما تؤول إليه حالة الطفل إذا نشأ غير سوى ، واستولى عليه شعور بالنقص

وعند ما يلخص إدلر نظريته يقول : « لا مندوحة من الاعتراف بأن طريقة السيكلوجية الفردية تبدأ وتنتهي بمشكلة النقص ... فالنقص هو أساس الجهاد البشري والنجاح . غير أن الشعور بالنقص هو أساس جميع مشاكلنا النفسية . إن الفرد إذا لم يجد هدفاً من الرقعة تعرض لشعوره بالنقص ، وهذا الشعور يقوده إلى مخرج يخلصه من مواجهة الحياة ، هذا المخرج هو الذي يدعى « مركب العظمة » ؛ ولا يزيد هذا المركب عن كونه هدفاً عابثاً غير مفيد ، يوه بالرضا الذي يناله الإنسان من نجاح خيالي ... »

وما دام الشعور بالنقص هذا هو أول ما نتحل إليه نظرية إدلر النفسية وآخره ، فجدير بنا أن نبحث هذا الشعور بشيء من التفصيل :